

من جهزت ناجحا فقد...

<"xml encoding="UTF-8?>



تقول القصة الرمزية إن أهل مدينة من المدن شاهدوا الشيطان يرتب حقيقته ويضع فيها عدته استعداداً لمغادرتها، فطلبوه منه البقاء وأصرّوا عليه فتمّنّع، وحين سأله عن السبب أجاب، إبني أشقي ليلي ونهاري، وأعلم أحدكم الكذب والسرقة والنصب والاحتيال، فإذا أوصلته إلى كرسي المسؤولية والرئاسة كتب على طاولته ﴿... هُدًا مِنْ فَضْلِ رَبِّي ...﴾ ١.

معاذ الله أن تكون من سأكتب عنها تلتقي مع الشيطان في شيء، لأنني سأكتب عن من ورد أن رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم) قال فيها «الجنة تحت أقدام الأمهات»، لكن القصة تناسب ما أعيشه سنوياً من خجل وانزعاج داخلي حين يأتي أولادي بشهادات الشكر والتقدير لي كولي أمر لهم على التعب الذي بذلته في تعليمهم وإتقانهم لمهاراتهم الدراسية، وأنا أعلم أنني لم أبذل شيئاً يذكر، بل هو تعب وعناء بذلته تلك الأم التي لا تعرف الراحة ولا النوم حتى تطمئن على فلذات كبدتها.

وهي تجهزهم لطي مرحلة علمية من مراحل دراستهم ومستقبلهم.

تلك الأم التي قد تكون حاملاً ومتعبة بحملها، ومع ذلك لا تسأل نفسها عن نوم ولا راحة ولا هدوء حتى ترى شهادة أولادها مزينة بالدرجات العالية، بفضل الله ثم بتبعها وجهدها وجهادها وإخلاصها لصغارها.

تلك الأم التي قد تكون مريضة يضطرب نومها في الليل ببكاء رضيعها بين فترة وأخرى، ويشغل جل أوقاتها في النهار بمتطلباته وحاجاته، ومع ذلك تتتابع أولادها بتجدد وعزم لا تعرف الملل ولا السأم ولا التشكي، فحياتها وحيويتها ونشاطها هي أولادها ومستقبلهم دون أي شيء آخر.

وهي الأم التي قد تكون موظفة يستغرق دوامها ما يستغرقه دوام زوجها من الوقت، لكنها تأتي لتحني ظهرها من جديد وهي تتتابع مع أولادها دروسهم حرفاً حرفاً ودرساً درساً، وهي حاضرة لتعيد عليهم وتسمع لهم، حتى ترضى عن نفسها أنها صنعت ما عليها، وهي عادة تشعر بعدم الرضا وبالقصير الدائم.

وهي الأم التي لا تتفرغ لأولادها في فترة امتحاناتهم، كلا، بل تضيّف هذا الجهد الجهيد إلى ما اعتادته يومياً من طبخ وغسيل وترتيب وحركة لا تعرف السكون والتوقف، وهي تشعر أحياناً أنها محاسبة من قبلنا نحن الأزواج على كل تقصير قد تقع فيه، أو عمل يسقط منها سهواً أو غفلة.

وهي الأم التي لا يمنعها مرض ولا تقعده بها علة عن النهوض وهي ترى أولادها في منعطف مستقبلي، فتحتمل على نفسها غير مكتنثة بما بها.

أغلبنا نحن الرجال- في فترة الاختبارات- نسأل دائمًا عن أولادنا، هل ذاكروا؟ هل أتقنوا؟ هل حفظوا؟ ونتابع ذلك مفصلاً، ولكننا ننسى أن نلتفت إلى تلك الأم التي تعيش التعب والعناء.

يحدثني صديق لي عن زوجته المصابة بارتفاع السكر، أن أشد الفترات التي تنتكس فيها صحتها الصحية ولأربع سنوات مضت هي فترة امتحانات أولادها، فتزداد جرعتها من الأنسولين وتتعرض للعديد من مضاعفات ارتفاع السكر، وكلما طلبت منها التوقف عن جهدها العالي، وشد أعصابها الذي يواصل ارتفاعه تعذر لي بأنها لا تستطيع ذلك، فالأولاد بحاجة لكل ما تصنع وأكثر من ذلك.

وهي تلك الأم التي قد تجمع كل ما سبق، فهي الحامل والمضعنة والموظفة إلى آخر القائمة، ومع ذلك لا تفارق كتب أولادها عينها.

الحقيقة أنك من يجلس على مقاعد الامتحان أيتها الأم، وعلى أقل تقدير أنت من يعد الواثقين لمقاعد الامتحان والمهيئين للنجاح، ومن جهزت ناجحا فقد صنعت مستقبل الأجيال.²

1. القران الكريم: سورة النمل (27)، الآية: 40، الصفحة: 380.

2. الشيخ محمد الصفار * صحيفة اليوم 4 / 6 / 2011 م - 2:26 ص - السبت 2 رجب 1432 هـ - 4 يونيو (حزيران) 2011 م - العدد: 13868